

خاصّ وتلك الصّورة ينتزعها الذّهن من أعيان التّراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال « بحيث إذا همّ الإنسان بالمخاطبة والمحاورة انتقى التّراكيب المواتية « فبرصّها في ذلك المنوال رصّها كما يفعله البناء في القالب، أو النّسّاج في المنوال حتى يتّسع القالب بحصول التّراكيب الوافية بمقصود الكلام » (ص ٥٧٠-٥٧١) .

\* \* \*

هكذا يفضي المنحى الاختباريّ بابن خلدون إلى تحديد طاقة الشّمول في الظّاهرة اللّسانية عموماً انطلاقاً من علاقة الإنسان باللّغة إذ للإنسان قدرة على استعمالها رغم عجزه عن استيعابها (ص ٥٣٢) وهذا ما يستجليه صاحب المقدّمة بعين الاستغراب والاستطراف في نفس الوقت، وفعلاً فلا اللّغة من حيث هي قاموس، ولا الكلام من حيث هو أشكال نحويّة متنوّعة، ولا الخطاب من حيث هو نمط مخصوص من النّسج اللغويّ بداخلة تحت طاقة الحصر لدى الإنسان : لذلك فإنّ مظاهر القصور في الإنسان تنعكس أبعاداً من التّجاوز الاستيعابيّ لدى اللّغة .

\* \* \*

هكذا نتبيّن - رغم اقتضاب المنعرجات التّحليليّة ضمن ما أوردناه - كيف يتسنى إثبات عراققة البحث الأصوليّ في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، كما يتسنى بيان خصوصيّة الكامنة في ازدواج فلسفة العلوم بنظريّة في المعرفة وهما عمقان متظافران قد حدّدا مسيرة المنهج النظريّ والمنحى الاختباريّ في مجمل